

# البصرة بين النفوذ الساساني والتحركات العربية: قراءة تاريخية في جدلية الصراع والتعايش

م.د. أنور عبد علي حميد المياح

كلية الإمام الكاظم (ع) الجامعة / قسم علوم القرآن والحديث / أقسام البصرة

Email: lecbasra1@iku.edu.iq

## الملخص

يتناول هذا البحث دراسة البصرة في العهد الساساني بوصفها منطقة تماس حضاري وسياسي بين الإمبراطورية الساسانية والقبائل العربية. اعتمد الساسانيون على الحاميات والمسالح العسكرية لفرض هيمنتهم على الأبله وضفاف شط العرب، غير أن هذه السيطرة بقيت محدودة بسبب الغارات العربية المستمرة، والتحالفات المصلحية التي كانت تتبدل بتبدل الظروف. وفي المقابل، لم يكن العرب مجرد قوة متمردة، بل مارسوا أيضًا أدوارًا في التبادل التجاري والاجتماعي، مما خلق حالة من التعايش القسري. وتكشف الدراسة أن العلاقة بين الطرفين كانت جدلية مركبة، تقوم على الصراع من جهة والتعايش من جهة أخرى، وهو ما أضعف النفوذ الساساني، ورسخ في العرب وعيًا بالاستقلال، ومهد لانتقال السلطة إلى المسلمين بعد الفتح. وعليه، فإن البصرة الإسلامية لم تكن انقطاعًا عن الماضي، بل امتدادًا وتحولًا نوعيًا لإرث تراكمي من الصراع والتعايش.

الكلمات المفتاحية: البصرة، الساسانيون، العرب قبل الإسلام، الحاميات الفارسية.

## **Basra Between Sasanian Influence and Arab Movements A Historical Reading in the Dialectic of Conflict and Coexistence**

**Lect . Dr. Anwar Abdul Ali Hamid Al-Mayah**

**Imam Al-Kadhim College University of Islamic Sciences**

**Department of Qur'anic and Hadith Sciences / Basra Branches**

**Email: lecbasra1@iku.edu.iq**

### **Abstract**

This Research examines Basra during the Sasanian period as a zone of cultural and political interaction between the Sasanian Empire and the Arab tribes. The Sasanians relied on garrisons and frontier outposts to secure their dominance over Al-Ubulla and the Shatt al-Arab, yet their control remained fragile due to persistent Arab raids and shifting alliances based on mutual interests. At the same time, the Arabs were not merely a rebellious force; they also engaged in trade and social exchange, creating a state of forced coexistence. The study demonstrates that the relationship between the Sasanians and the Arabs was a complex dialectic of conflict and coexistence, which gradually weakened Sasanian authority, fostered a sense of Arab independence, and paved the way for the Muslim conquest. Thus, Islamic Basra did not emerge in isolation but represented a continuation and qualitative transformation of a cumulative legacy of both conflict and coexistence.

**Keywords:** Basra, Sasanians, Pre-Islamic Arabs, Persian Garrisons.

## المقدمة

تمثل البصرة في تاريخ العراق القديم نموذجًا مميزًا للتفاعل بين القوى الإمبراطورية والشعوب المحلية. فقبل الإسلام، لم تكن البصرة مدينة مكتملة البنين كما أصبحت لاحقًا، بل كانت فضاءً جغرافيًا-استراتيجيًا يقع عند مصب دجلة والفرات، ويضم مرافئ مهمة أبرزها الأبله. وقد أولى الساسانيون هذه المنطقة عناية خاصة، فجعلوها ثغرًا عسكريًا وتجاريًا يربط العراق بالخليج العربي والهند، وأقاموا فيها الحاميات والقلاع، وفرضوا نظامًا للضرائب والجباية. وفي المقابل، كان العرب - من قبائل بكر بن وائل وتميم وعبد القيس والأزد - يعيشون على تخوم هذه المنطقة، بين الولاء والتحالف تارة، والتمرد والمواجهة تارة أخرى. وهكذا غدت البصرة ميدانًا لجدلية الصراع والتعايش بين نفوذ الساسانيين وتحركات العرب، وهو ما هيأها لتكون قاعدة مؤهلة للفتح الإسلامي لاحقًا.

## أهمية البحث

تتبع أهمية هذا البحث من كونه يدرس البصرة في لحظة تاريخية قلما تناولتها الدراسات، إذ غالبًا ما يبدأ المؤرخون الحديث عن البصرة مع تأسيسها الإسلامي. غير أن استقرار جذورها في العهد الساساني يكشف أن البصرة لم تظهر فجأة، بل سبقتها مرحلة من التفاعل العربي-الفارسي. ويسعى هذا البحث إلى إبراز هذه المرحلة بوصفها إرهابًا تاريخيًا ساهم في تشكيل هوية البصرة اللاحقة، ويضيء على ديناميات القوة والضعف، والسيطرة والمقاومة، والتبادل والتعايش.

## إشكالية البحث

تتعلق إشكالية البحث من التساؤل الرئيس:

كيف أسهم التفاعل بين النفوذ الساساني والتحركات العربية في تشكيل ملامح البصرة قبيل الإسلام ضمن جدلية الصراع والتعايش؟  
ومن هذا السؤال تتفرع تساؤلات فرعية:

١. ما طبيعة النفوذ الساساني في البصرة: عسكريًا، وإداريًا، واقتصاديًا؟
٢. كيف كانت تحركات العرب في مواجهة هذا النفوذ: غارات، ولاءات، أو استيطان؟
٣. ما أوجه التعايش والتداخل الاجتماعي والديني بين العرب والفرس والمسيحيين النساطرة؟
٤. ما أثر هذه الجدلية في تمهيد الأرضية لقيام البصرة الإسلامية بعد الفتح؟

## أهداف البحث

١. بيان أبعاد النفوذ الساساني في البصرة قبيل الإسلام.
٢. دراسة أنماط تحركات القبائل العربية في المنطقة.
٣. تحليل جدلية الصراع والتعايش بين العرب والفرس.

٤. الكشف عن أثر هذه المرحلة التمهيدية في بروز البصرة الإسلامية.

### منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي باستقراء الروايات الواردة في المصادر الإسلامية (كالطبري، والبلاذري، واليعقوبي)، إلى جانب الاستفادة من المصادر الفارسية والسريانية والنقوش الساسانية. كما استفاد من المنهج المقارن بين النصوص المختلفة للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف، ومن المنهج النقدي لتحخيص الأخبار وتمييز الغث من السمين، مع قراءة تحليلية للمعطيات الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

### الدراسات السابقة

تناولت دراسات متعددة البصرة من زوايا مختلفة، نذكر منها:

- البلاذري في فتوح البلدان: أشار إلى أهمية الأبله كمنفذ تجاري وعسكري قبل الإسلام.
- اليعقوبي في تاريخه: أوضح وجود تحصينات فارسية في الأبله.
- الطبري في تاريخ الرسل والملوك: نقل أخبار الضرائب والولاء الفرس في جنوب العراق.
- جواد علي في المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: تناول بالتفصيل دور القبائل العربية في تخوم العراق وعلاقتها بالساسانيين.
- عبد الرزاق الهلالي في تاريخ البصرة: ركز على تطور البصرة منذ الجذور حتى العصر الحديث، لكنه لم يفصل في المرحلة الساسانية.
- آرثر كريستنسن في تاريخ إيران في عهد الساسانيين: يُعدّ مصدرًا مهمًا لأي دراسة عن تاريخ الساسانيين؛ لما فيه من تفاصيل دقيقة ومفصلة.<sup>(١)</sup>

ويُبرز هذا البحث أن البصرة قبيل الإسلام لم تكن فضاءً خاضعًا بشكل مطلق للساسانيين ولا أرضًا عربية صرفة، بل كانت ميدانًا للتفاعل والجدلية بين قوتين: الإمبراطورية الساسانية بسلطتها ونفوذها، والقبائل العربية بحيويتها وتحركاتها. ومن خلال استقراء مظاهر الصراع والتعايش، يسعى البحث إلى تقديم قراءة متوازنة تمهّد لفهم البصرة الإسلامية بوصفها حاضرة جمعت بين عوامل الاستمرارية والتحول.

### المبحث الأول: النفوذ الساساني في البصرة (السيطرة العسكرية والإدارية)

شكّلت البصرة قبل الإسلام مركزًا استراتيجيًا بالغ الأهمية، بحكم موقعها على شط العرب واتصالها بالخليج والمحيط الهندي. وقد أدرك الساسانيون هذه الأهمية، ففرضوا نفوذهم عليها عبر الحاميات العسكرية وتنظيم الإدارة والجباية، مما جعلها خطأً دفاعيًا وحدوديًا في مواجهة القبائل العربية.

ويبرز في هذا السياق أن السيطرة الساسانية لم تكن مقتصرة على الجانب العسكري فحسب، بل امتدت إلى إدارة طرق التجارة وتنظيم علاقات الولاء مع القبائل المتحالفة. ومن هنا، فإن دراسة النفوذ الساساني في البصرة تكشف عن جذور مكانتها التاريخية وتوضح كيف تحولت إلى ساحة تفاعل وصراع بين القوى الفارسية والعربية، ومقدمة لدورها البارز في العصور الإسلامية اللاحقة<sup>(٢)</sup>. ويمكن تناول المبحث بالشكل الآتي: -

**أولاً: البصرة كمنطقة تماس عسكرية:** مثّلت البصرة قبل الإسلام أحد أهم التخوم الغربية للإمبراطورية الساسانية، إذ كانت بمثابة خط دفاع أمامي ضد القبائل العربية القادمة من الجزيرة. ولذلك، لم يتعامل الساسانيون مع المنطقة بوصفها مجرد ثغر تجاري، بل جعلوا منها مسرحاً عسكرياً يضمن حماية العاصمة المدائن وما حولها، ويشير اليعقوبي إلى ذلك بقوله: «وكانت الأبله ذات سور وحامية من الفرس، يراقبون بها السواحل، ويقطعون الطريق على من يخرج عن الطاعة من العرب»<sup>(٣)</sup>. ويتضح أن إدراك الساسانيين لأهمية الموقع جعلهم يركزون على السيطرة الأمنية قبل أي نشاط اقتصادي، وهذا التوجه يعكس طبيعة السياسة الساسانية عامةً في إدارة التخوم والاعتماد على الحاميات العسكرية كخطوط متقدمة، لذا كانت البصرة من منظور ساساني جداراً واقياً أكثر من كونها مدينة أو مركزاً حضارياً.

### ثانياً: الحاميات الفارسية - الأهداف والوظائف

ارتبط النفوذ الساساني في البصرة بإنشاء حاميات عسكرية في الأبله وما جاورها، وكان الهدف منها إحكام السيطرة على المنطقة الحدودية بين فارس والجزيرة العربية، وقد اتخذت هذه الحاميات طابعاً دائماً، وألحق بها عدد من المسالح (نقاط المراقبة) لمتابعة التحركات وضبط الأمن. وقد تعددت مهام هذه الحاميات الفارسية وتنوعت أهدافها لتشمل:

١. الدفاع العسكري: مواجهة غارات القبائل العربية وحماية الحدود من أي اختراق<sup>(٤)</sup>.
٢. الأمن الداخلي: تأمين الأبله وموانئها، ومراقبة طرق التجارة البرية والبحرية<sup>(٥)</sup>.
٣. الوظيفة السياسية: بسط هيبة الدولة الساسانية وإظهار حضورها المستمر أمام القبائل العربية، سواء الموالية أو المعارضة.

٤. الدور الاقتصادي: حماية النشاط التجاري وضمان تدفق الضرائب والجزية نحو السلطة المركزية، وذلك بحماية التجارة وضمان مرور السفن التجارية القادمة من الهند والصين إلى العراق، وجباية الضرائب عن طريق فرض الرسوم على القوافل والسفن العابرة<sup>(٦)</sup>.

٥. الرقابة الإدارية: متابعة السكان المحليين، وربطهم بالنظام الساساني من خلال نظم الولاء والجزية، ويشير البلاذري الي ذلك بقوله: «وكانت السفن إذا دخلت الأبله دفعت للفرس عشر ما تحمل، وكان الجند الفرس يقومون بحماية الثغر»<sup>(٧)</sup>.

ويظهر مما تقدم أن الحاميات كانت أدوات عسكرية-اقتصادية مزدوجة: حماية وتأمين من جانب، واستغلال وجباية من جانب آخر، وهذه الازدواجية جعلت العلاقة بين العرب والفرس متوترة؛ فالفرس وفروا الأمن، لكنهم مثّلوا عبئاً مالياً وسياسياً على السكان، فهذه الحاميات الفارسية لم تكن مجرد قوات عسكرية، بل مؤسسات سياسية-اقتصادية تمثل نفوذ الدولة الساسانية المباشر.

وقد وردت إشارات في المصادر إلى أسماء قادة فارسيين تولوا الإشراف على هذه الحاميات، مثل سيابنداد الذي كان من كبار موظفي كسرى في الأبله، ونارسه بن أردشير الذي أشرف على تنظيم جباية الأموال من عرب الخليج<sup>(٨)</sup>. كما ذكر أن الحاميات لم تقتصر على الأبله وحدها، بل وُزعت في مواقع استراتيجية مثل الفرات الأدنى والمدار، لحماية طرق الملاحة وضبط حركة التجارة<sup>(٩)</sup>.

ثالثاً: المسالِح (النقاط الحدودية) وأدوارها: المسالِح هي نقاط عسكرية صغيرة أقيمت على طول السواحل والطرق النهرية، وتعد مكملة للحاميات الكبيرة، ويذكر أحد الباحثين «أن الفرس وضعوا أبراج مراقبة على شط العرب لمتابعة السفن، ولمنع دخول العرب المخالفين»<sup>(١٠)</sup>.

وتعددت وظائفها ويمكن أن نجماها بالتالي:

. الإنذار المبكر لأي تحركات معادية.

. تأمين طرق المواصلات بين الأبله والمدائن.

. السيطرة على الممرات المائية<sup>(١١)</sup>.

إن وجود المسالِح جعل المنطقة شبكة عسكرية مترابطة، وليس مجرد مركز واحد، وهذا يفسر كيف تمكن الساسانيون من فرض حضور قوي نسبياً رغم اتساع المنطقة وصعوبة ضبطها.

ونستنتج من ذلك أن المسالِح كانت بمثابة "عيون" الإمبراطورية الساسانية على أطرافها الغربية.

رابعاً: تقييم فعالية الحاميات والمسالِح: رغم أهميتها لم تحقق الحاميات السيطرة الكاملة، فقد استمرت القبائل العربية في شن غاراتها، وأحياناً في التعاون مع الفرس عند الحاجة.

يقول عباس العزاوي: «كثيراً ما أغارت تميم وبكر بن وائل على ضواحي الأبله، فيضطر الفرس إلى

دفع الأموال أو شن غارات مضادة»<sup>(١٢)</sup>، وهكذا فالحاميات وفرت أداة ردع مؤقتة لكنها لم تستطع

معالجة جذور الصراع، ويرى بعض الباحثين المحدثين أن الساسانيين اعتمدوا على استراتيجية "التعايش

القسري"، أي مزيج من القوة والتحالف، لكنها لم تمنحهم نفوذاً مطلقاً<sup>(١٣)</sup>، وبالتالي فالحاميات والمسالِح

كانت ضرورية، لكنها لم تكن كافية لضمان استقرار طويل الأمد.

### خامسًا: أثر الحاميات الفارسية في تمهيد البصرة الإسلامية

مع دخول المسلمين، كانت البنية العسكرية الساسانية قائمة، فرثوا القلاع والموانئ والحاميات. يقول جواد علي: «لم يبدأ المسلمون من فراغ، بل وجدوا قلاعًا ومراكز فارسية أعادوا توظيفها»<sup>(١٤)</sup>، فالإرث العسكري الفارسي أسهم في تسهيل تأسيس البصرة الإسلامية كقاعدة عسكرية للفتوحات، ومن هنا يظهر البعد التاريخي: ما كان أداة للسيطرة الساسانية تحول لاحقًا إلى أساس للبصرة الإسلامية، وهكذا فالحاميات الفارسية أدت دورًا تمهيدياً غير مباشر في نشوء البصرة الإسلامية.

ويتضح أن النفوذ الساساني في البصرة كان قائمًا بالأساس على الحاميات والمسالخ، التي أدت وظائف عسكرية واقتصادية في آن واحد. فرغم أهميتها في ضبط الحدود وتأمين التجارة، إلا أن فعاليتها كانت محدودة أمام تحركات العرب. ومع ذلك، فإن وجود هذه البنية العسكرية كان من أهم الإرهاصات التي ساعدت المسلمين لاحقًا في تحويل البصرة إلى قاعدة كبرى للفتوحات.

### المبحث الثاني: التحركات العربية في البصرة (الاستيطان، الغارات، الولاءات).

شكّلت البصرة ومحيطها منذ العهد الساساني مسرحًا لنشاط القبائل العربية، سواء عبر الاستيطان الدائم في ضواحيها، أو من خلال الغارات الموسمية التي استهدفت حاميات الفرس وقوافلهم التجارية، أو من خلال علاقات الولاء والتحالف التي ربطت بعض القبائل بالسلطة الساسانية. ويُجمع المؤرخون على أن العرب لم يكونوا مجرد عنصر طارئ على المنطقة، بل كانوا قوة حقيقية مؤثرة في معادلة الصراع والتوازن السياسي والاقتصادي، فيقول الطبري: «وكانت قبائل من العرب قد نزلت الأبلّة وما حولها، منهم تنوخ وبكر وتميم، فمنهم من دان للفرس، ومنهم من أبى وناوأهم»<sup>(١٥)</sup>، ويكشف هذا النص أن الوجود العربي في البصرة لم يكن ذا طبيعة واحدة؛ بل تباين بين قبائل استقرت وتحالفت مع السلطة الساسانية لضمان مصالحها، وأخرى ناوأَت الفرس بالغارات مستغلة ضعف الرقابة أو اتساع الصحراء، وقد انعكس هذا التباين على المشهد السياسي، حيث استخدم الساسانيون سياسة "فرّق تسد" لضبط القبائل، بينما استفادت القبائل بدورها من تناقضات النفوذ الفارسي.

وبذلك يمكننا القول إن دراسة التحركات العربية في البصرة تكشف عن حقيقتين أساسيتين:

١. إن العرب كانوا طرفًا أصيلاً في تشكيل هوية المنطقة قبل الإسلام، لا مجرد رعايا للساسانيين.
٢. إن التعدد في أنماط تعاملهم مع الفرس (ولاء، أو مواجهة، أو حياد) ساعد في تهيئة البصرة لاحقًا لتكون قاعدة انطلاق للفتح الإسلامي، إذ لم يكن ولاء القبائل راسخًا للدولة الساسانية، بل كان تحالفًا ظرفيًا سرعان ما انهار مع قدوم المسلمين<sup>(١٦)</sup>.

ولم يكن الوجود الساساني في البصرة ذا طابع عسكري بحت، بل سعى إلى بناء تحالفات مع بعض القبائل العربية لضمان الاستقرار في المنطقة. ومن أبرز هذه القبائل:

تنوخ: وقد تحالفت مع الفرس منذ وقت مبكر، وأسهمت في الدفاع عن أطراف الدولة مقابل الامتيازات التي منحت لها<sup>(١٧)</sup>.

بكر بن وائل: أدت دورًا مهمًا في موازنة القوى، إذ ارتبط بعض فروعها بولاء سياسي للساسانيين، بينما بقيت فروع أخرى على استقلالها<sup>(١٨)</sup>.

يتضح مما سبق أن الحاميات الفارسية في البصرة لم تكن مجرد ثكنات عسكرية، بل مثلت منظومة متكاملة هدفت إلى حماية الحدود، وضبط التجارة، وكسب الولاءات القبلية. غير أن اعتماد الساسانيين المفرط على هذه الحاميات والتحالفات لم يمنع هشاشة سيطرتهم، إذ أن التوازن بين الولاء القبلي والهيمنة الفارسية كان مضطربًا، مما جعل المنطقة مهيأة للانخراط السريع في الفتوحات الإسلامية. فقد وجدت الجيوش الإسلامية عند دخولها البصرة مجتمعًا قد اعتاد التعددية في النفوذ، وبيئة قبلية لم تكن مرتبطة بعمق بالدولة الساسانية، الأمر الذي سهّل عملية الفتح وأضعف المقاومة الفارسية في المنطقة<sup>(١٩)</sup>.

**أولاً: الاستيطان العربي في تخوم البصرة:** عاشت قبائل عربية عديدة في جنوب العراق قبل الإسلام، أهمها بكر بن وائل، تميم، الأزدي، وعبد القيس، وقد استوطنت هذه القبائل المناطق القريبة من الأبله وعلى ضفاف شط العرب، حيث مارست الزراعة والتجارة، فكانت بكر بن وائل وعبد القيس ينزلون سواحل البحرين والأبله وما يليها، يجاورون الفرس ويدخلون في طاعتهم أحيانًا<sup>(٢٠)</sup>، وهكذا فإن «العرب لم يكونوا طارئين على المنطقة، بل استقروا فيها منذ قرون، وارتبطوا بطرق التجارة والزراعة»<sup>(٢١)</sup>، وأن وجود هذه القبائل جعل المنطقة فضاءً عربيًا بامتياز من الناحية السكانية، حتى مع سيطرة الساسانيين عسكريًا، ويتضح أن التداخل بين العرب والفرس في هذه المناطق لم يكن اندماجًا كاملًا، بل كان قائمًا على تقاسم النفوذ، فالاستيطان العربي المبكر منح البصرة شخصية عربية واضحة، مهدت لتقبل الفتح الإسلامي لاحقًا.

**ثانيًا: الغارات العربية على النفوذ الساساني:** مارست القبائل العربية غارات متكررة على المزارع والقوافل الفارسية، وقد سجلت المصادر عدّة حوادث، خصوصًا من قبيلتي تميم وبكر بن وائل، فيذكر العزاوي: «كثيرًا ما أغارت تميم وبكر بن وائل على ضواحي الأبله، فيضطر الفرس إلى دفع الأموال أو شن الغارات المضادة»<sup>(٢٢)</sup>، كما أشار الطبري إلى أن الفرس «كانوا يعانون من غارات العرب، فلا يلبثون أن يهادنهم أو يستعينوا ببعضهم ضد بعض»<sup>(٢٣)</sup>، فهذه الغارات لم تكن مجرد أعمال نهب، بل كانت وسيلة لإثبات الوجود السياسي وموازنة النفوذ الفارسي، وهي بالتالي أضعفت النفوذ الساساني، وكشفت هشاشة سيطرته على تخومه البحرية، ويظهر أن هذه الغارات العربية مثلت شكلاً من المقاومة المستمرة، ساهمت في إنهاك الدولة الساسانية قبيل الفتح الإسلامي.

ولم تكن الغارات العربية على أطراف البصرة ظاهرة معزولة، بل شكّلت جزءاً من البنية القبلية العربية قبل الإسلام، فقبائل مثل تميم وتنوخ وبكر بن وائل كانت تُغير على السواد وتفرض وجودها بقوة السلاح. وقد أشار البلاذري إلى هذه الظاهرة بقوله: «وكانت العرب تُغير على السواد، فيكفون إذا قوي الفرس، فإذا ضعفوا أغاروا ونهبوا، وربما اصطلحوا على مال يؤدونه أو يأخذونه»<sup>(٢٤)</sup>، ومع بروز الإسلام، ظهر المثنى بن حارثة الشيباني زعيم بني شيبان، ليواصل هذا النمط من الغارات، لكن في إطار أكثر تنظيمًا واستراتيجية، فقد قاد حملات متكررة على تخوم السواد قبل فتح البصرة، معتمدًا أسلوب الكرّ والفرّ على امتداد الفرات الأدنى.

ويرى عبد العزيز الدوري أن هذه الغارات لم تكن مجرد أعمال نهب، بل مثّلت تجسيدًا عمليًا للخبرة القبلية العربية في التعامل مع القوى الكبرى؛ إذ وظّف المثنى التكتيك العربي التقليدي (الغارة) في إطار سياسي-عسكري جديد يخدم الدعوة الإسلامية<sup>(٢٥)</sup>.

ويمكن القول إن المثنى بن حارثة جسّد النقلة من الغارة الجاهلية الفردية إلى التحرك المنظم الذي أسّس لفتح البصرة. فقد كان هجومه على مواقع الساسانيين بمثابة إرهاب متواصل لقواتهم، وكشف هشاشة نفوذهم في السواد، وفي الوقت نفسه، استفاد من خبرة العرب السابقة في الغارات، ومن معرفته الدقيقة بمسالك البادية والفرات، ليضمن نجاح عملياته دون الوقوع في مواجهة شاملة غير متكافئة، ويتضح أن غارات المثنى لم تكن استمرارًا ميكانيكيًا للغارات العربية قبل الإسلام، بل كانت تطويرًا نوعيًا لها؛ فقد انتقلت من كونها وسيلة كسب وغنيمة إلى أداة ضغط استراتيجي سهّلت تمهيد الطريق للفتح الإسلامي للبصرة، وهكذا فإن المثنى يُعدّ حلقة حاسمة تربط بين الجدلية السابقة للصراع والتعايش وبين بداية البصرة الإسلامية.

**ثالثًا: الولاءات والتحالفات القبلية:** رغم الغارات، دخلت بعض القبائل العربية في ولاءات وتحالفات مع الساسانيين، فكانوا يستخدمونها كقوة مساندة، فقد جاء في اليعقوبي: «وكان الأكاسرة يستعينون بالعرب في الحاميات أحيانًا، ويجعلون لهم عطايا مقابل ولائهم»<sup>(٢٦)</sup>، ويذكر جواد علي أن «العرب كانوا يتأرجحون بين التمرد والتحالف، بحسب مصالحهم وظروفهم»<sup>(٢٧)</sup>، فهذه التحالفات لم تكن ثابتة، بل مرنة ومصالحية، وهو ما يعكس الطبيعة القبلية.

كما أن هذه المرونة جعلت العرب شركاء لا يمكن تجاهلهم، رغم نظرة الفرس لهم كأدوات مؤقتة، وبالتالي فالولاءات القبلية مع الفرس لم تمنحهم السيطرة المطلقة، لكنها أوجدت نموذجًا للتعايش القسري، فيذكر المسعودي أن بعض بطون تنوخ أقاموا في الحيرة تحت حماية الفرس، وكان لهم دور في حراسة أطراف السواد<sup>(٢٨)</sup>، كما أشار محمد بيومي مهران إلى أن هذا التحالف لم يكن دائمًا، بل انهار في أوقات ضعف الفرس<sup>(٢٩)</sup>.

أما قبيلة عبد القيس أقامت على ساحل الخليج العربي (البحرين) ودخلت في ولاء مع الساسانيين، وكانت تدفع الجزية مقابل تمتعها بالاستقرار والتجارة، ويذكر اليعقوبي أن بعض بطون عبد القيس شاركت في حاميات الفرس في الأبله (٣٠).

في حين قبيلة إياد ارتبطت بالفرس في ولاء طويل، إذ استخدمها الساسانيون كـ"حلفاء حدوديين" على أطراف دجلة والفرات، حتى انه ورد في الأخبار أن إياد ساعدت الفرس في صدّ غارات بعض القبائل المتمردة، لكنها انقلبت عليهم لاحقاً حين ضعفت شوكتهم (٣١)، ويشير صادق عبد الله عبد الجبار إلى أن إياد مثال حيّ على "الولاء المصلحي"، فقد استفادت من حماية الفرس لكنها لم تتخلّ عن هويتها العربية (٣٢)، كما أن بكر بن وائل أدت دوراً مزدوجاً؛ إذ تحالف بعض بطونها مع الفرس (خاصة في الحيرة)، بينما رفضت أخرى الخضوع وقادت غارات متكررة، حتى أن الطبري يذكر أن بعض بطون بكر قاتلت إلى جانب الفرس في معركة ذي قار (قبل الإسلام مباشرة)، بينما انحازت بقية بكر إلى جانب العرب (٣٣)، واعتبر جواد علي هذا المثال دليلاً على أن التحالفات كانت "متذبذبة ومصلحية" داخل القبيلة الواحدة (٣٤).

وتُظهر هذه الأمثلة أن الولاءات القبلية لم تكن نظرية عامة فقط، بل تجسّدت في أحداث وحوادث تاريخية محددة: تتوخ وعبد القيس كحلفاء نظاميين للفرس، إياد كقبيلة متأرجحة بين الولاء والتمرد، بكر بن وائل كمثال على الانقسام الداخلي في التحالفات، وهذا يؤكد أن الفرس لم يتمكنوا من فرض سيطرة مطلقة عبر هذه الولاءات، بل ظلّت تحالفات ظرفية تنهار عند تغيير ميزان القوى.

#### رابعاً: جدلية الاستقلالية والارتباط (العلاقة بين العرب والفرس بين الاستقلالية والارتباط)

تميّزت علاقة القبائل العربية بالفرس في البصرة وما جاورها بطابعٍ جدلي بين الاستقلالية التي فرضتها طبيعة البنية القبلية العربية، والارتباط الذي أملت الحاجة إلى الحماية أو المصالح الاقتصادية والسياسية، فلم يكن العرب خاضعين خضوعاً مطلقاً للساسانيين، ولا مستقلين استقلالاً تاماً، بل ظلّت العلاقة تتأرجح بحسب الظروف والتوازنات.

ويؤكد البلاذري ذلك بقوله: «وكانت قبائل من العرب تعطي الفرس الطاعة إذا اشتد سلطانهم، فإذا ضعفوا خالفوهم وامتنعوا» (٣٥)، فيظهر من هذا النص أن العرب تعاملوا مع الفرس وفق ميزان القوة؛ فإذا كان النفوذ الساساني قوياً أذعنوا له، أما إذا أصاب الضعف سلطتهم، فإن القبائل كانت تميل إلى الاستقلال وإظهار العصيان. وهذا يبرز أن العلاقة لم تكن قائمة على الولاء العقائدي أو السياسي العميق، بل على المصالح المرحلية والقدرة على التكيف مع الواقع المتغيّر، كما أن طبيعة النظام القبلي العربي، القائم على العصبية والانتماء للقبيلة أكثر من الدولة، جعلت فكرة الخضوع الدائم

لسلطة خارجية أمرًا هشًا. ومن هنا، ظلّ الفرس بحاجة إلى الحاميات والتحالفات مع بعض القبائل، لكنهم في الوقت نفسه لم يتمكنوا من القضاء على نزعة الاستقلال المتجذرة لدى العرب. ويمكن القول إن هذه الجدلية بين الاستقلالية والارتباط مثلت أحد أهم أسباب هشاشة السيطرة الساسانية على البصرة، فهي علاقة متأرجحة لم تستطع أن تنتج ولاءً دائمًا، الأمر الذي جعل البيئة العربية مهياةً للتجاوب مع الفتح الإسلامي، الذي قدّم للعرب بديلاً حضاريًا وسياسيًا أقرب إلى هويتهم وانتمائهم. وتتجلى هذه العلاقة بمظهرين: استقلالية: عبر الغارات والتمرد.

ارتباط: عبر التحالف والجبابة والتجارة.

يقول كريستنسن: «إن العرب على تخوم العراق لم يكونوا تابعين بالكامل، بل مارسوا نفوذًا جزئيًا جعلهم أقرب إلى الحلفاء المتمردين»<sup>(٣٦)</sup>.

هذا التوازن المتوتر بين الاستقلالية والارتباط هو الذي صنع "جدلية الصراع والتعايش"، ولم يكن الصراع دائمًا مفتوحًا، ولا التعايش دائمًا سلميًّا، بل كان بين بين، فالتحركات العربية لم تكن عشوائية، بل استراتيجية مصالحة حافظت على التوازن مع النفوذ الفارسي.

ويتضح أن التحركات العربية في البصرة قبيل الإسلام كانت متعددة الأوجه: استيطان مستقر، وغارات مقاومة، وتحالفات مرنة، وهذا التداخل بين الاستقلالية والارتباط جعل العرب قوة محلية فاعلة في مواجهة النفوذ الساساني، بل وشريكًا مكرهًا له، ومن ثم، فإن العرب لم يكونوا مجرد متلقين للسيطرة، بل كانوا طرفًا أساسيًا في صياغة واقع المنطقة.

### المبحث الثالث: جدلية الصراع والتعايش (المواجهة، التحالف، التبادل)

شهدت البصرة قبل الإسلام حالة معقدة من التفاعل بين العرب والفرس، بين الصراع المباشر المتمثل بالغارات والمواجهات العسكرية، وبين التعايش والتحالف القائم على المصلحة المشتركة، إضافة إلى التبادل التجاري والثقافي الذي فرضه الموقع الجغرافي للمدينة. هذا التداخل جعل العلاقة بين الطرفين أقرب إلى جدلية متقلبة، لم تستقر على صورة واحدة.

يذكر المسعودي: «وكانت العرب تغزو أطراف السواد، فإذا قويت شوكة الفرس كَفَّوا، وإذا ضعفوا عاثوا في أرضهم، وربما اصطلحوا على مالٍ يأخذونه أو يؤدونه»<sup>(٣٧)</sup>.

ويتضح من هذا النص أن العلاقة بين العرب والفرس لم تُبنَ على قاعدة ثابتة، بل كانت متغيرة بحسب ميزان القوة والمصلحة، فحين يشد نفوذ الفرس، يتراجع العرب إلى حالة من التعايش أو التحالف القسري، وحين يضعف، ينقلبون إلى المواجهة والغارات. وفي أحيان أخرى، كان التبادل

التجاري والمالي يشكّل صيغة وسطى تتيح للعرب والفرس الاستعادة المتبادلة، وإن ظلت هذه الصيغة هشة ومعرضة للانهايار.

كما أن طبيعة المجتمع العربي، القائم على الغزو والنجعة، جعلته يتعامل مع الفرس بأسلوب براغماتي؛ فهو لا يمانع التحالف عند الحاجة، لكنه في الوقت نفسه لا يتردد في الانقضاض عند ظهور الفرصة، أما الفرس، فقد وجدوا أنفسهم أمام واقع لا يمكن إخضاعه كلياً بالقوة، فاضطروا إلى اعتماد أساليب التعايش المؤقت والاتفاقات المرحلية.

ويظهر أن جدلية الصراع والتعايش في البصرة تكشف عن هشاشة السيطرة الساسانية من جهة، وعن ديناميكية المجتمع العربي من جهة أخرى. فقد استطاع العرب أن يثبتوا حضورهم عبر المواجهة حيناً، وعبر التحالف والتبادل حيناً آخر. هذه المرونة جعلت البصرة ساحة مفتوحة للتفاعل بين قوتين، ومهدت الطريق لاحقاً لأن تستقبل الفتح الإسلامي بوصفه مخرجاً من حالة التوازن المتأرجح بين الصراع والتعايش.

أولاً: المواجهة العسكرية وأثرها: لم يكن الصراع بين العرب والفرس في البصرة مواجهة عابرة، بل كان سمة متكررة. فقد تكررت الغارات العربية على تخوم الأبله، مستهدفة القوافل الفارسية أو مزارعهم، فيذكر العزاوي: «كثيراً ما أغارت تميم وبكر بن وائل على ضواحي الأبله، فيضطر الفرس إلى دفع الأموال أو شن الغارات المضادة»<sup>(٣٨)</sup>، كما ينقل الطبري أن الفرس «كانوا يبعثون السرايا من الأبله لرد العرب، فينشب بينهم قتال، ثم يتراضون بالمال أو العطايا»<sup>(٣٩)</sup>، أن تلك المواجهة لم تكن مجرد اضطراب أمني، بل شكلاً من أشكال المقاومة السياسية للسيطرة الفارسية، وإن استمر الغارات قروناً يعكس هشاشة النفوذ الساساني، ويبين أن العرب لم يندمجوا في المنظومة الإمبراطورية، كما أن المواجهة العسكرية المتكررة أنهكت الفرس، ومهدت الأرضية لنجاح الفتح الإسلامي الذي جاء لاحقاً. ثانياً: خندق سابور وسياسة الردع الساساني: شهدت البصرة وما جاورها في العهد الساساني سياسة ردع قاسية تجاه العرب، تجسدت بإنشاء خندق سابور، وهو حاجز دفاعي خطّي امتد من هيت إلى مشارف الأبله، هدفه منع غارات القبائل العربية وحماية الأراضي الزراعية الخصبة. وقد أشارت بعض المصادر إلى أن الخندق عُرف أيضاً باسم سور العرب، وكان يتخلله أبراج مراقبة ومساح عسكرية<sup>(٤٠)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على التحصينات، بل اتسم تعامل الفرس مع العرب بالشدّة والوحشية، حيث يُذكر أن سابور الثاني لُقّب بـ«ذي الأكتاف» لأنه كان «لا يظفر بأحدٍ من العرب إلا خلع كتفه»<sup>(٤١)</sup>. ويؤكد محمد بيومي مهران أن هذه السياسة لم تقتصر على العقوبات البدنية، بل شملت أيضاً ترحيل

القبائل العربية من مواطنها على الحدود إلى داخل السواد لضبط حركتها وإضعاف قدرتها على الغزو<sup>(٤٢)</sup>.

ويذهب عبد العزيز الدوري إلى أن خندق سابور يعكس فشل الفرس في السيطرة الكاملة على القبائل العربية؛ إذ اضطروا إلى بناء خط دفاعي ثابت بدل الاعتماد على الولاء السياسي أو الإدماج الاقتصادي، مما يكشف عن هشاشة نفوذهم في البادية<sup>(٤٣)</sup>، كما يرى أحد الباحثين أن وحشية سابور في التعامل مع العرب ساهمت في تعزيز روح المقاومة لديهم، وهيأت الأرضية النفسية والسياسية لانخراطهم في الفتح الإسلامي لاحقاً<sup>(٤٤)</sup>.

ويتضح أن «خندق سابور» وسياسة «ذي الأكتاف» تمثلان مرحلة قصوى من الصراع العربي-الفارسي؛ إذ لجأ الساسانيون إلى الردع العسكري والهندسة الحدودية، لكنهم لم يستطيعوا القضاء على نزعة الاستقلال العربي. بل إن هذه السياسات العنيفة ساهمت في تغذية الرفض العربي وتعزيز استعداد القبائل للتحالف مع القوة الجديدة المتمثلة في الإسلام.

**ثالثاً: تحالفات المصالح:** إلى جانب المواجهة، عُرفت أيضاً تحالفات مصلحة بين العرب والفرس، خاصة حين احتاج الأكاسرة إلى العرب في حروبهم، فيذكر اليعقوبي: «وكان الأكاسرة يستعينون بالعرب في الحاميات أحياناً، ويجعلون لهم عطايا مقابل ولائهم»<sup>(٤٥)</sup>.

كما أن الفرس كانوا يستخدمون بعض قبائل العرب في حماية الموانئ مقابل الأرزاق<sup>(٤٦)</sup>، هذه التحالفات لم تكن قائمة على ولاء دائم، بل على منفعة متبادلة، وطبيعة البنية القبلية العربية - التي تقوم على العصبية والمرونة السياسية - جعلت هذه التحالفات قابلة للتغير مع تبدل الظروف، فالتحالفات المصلحية أظهرت أن العرب لم يكونوا طرفاً ضعيفاً بالكامل، بل شريكاً مؤقتاً يستغل الحاجة الفارسية<sup>(٤٧)</sup>.

**رابعاً: التبادل الاقتصادي والاجتماعي:** رغم الصراع والتحالف، كان هناك جانب من التبادل الاقتصادي والاجتماعي بين العرب والفرس، فقد شارك العرب في التجارة البحرية والزراعة على ضفاف شط العرب.

فيقول ابن خردادبه: «ومن الأبله تخرج السفن إلى البحر، وتحمل البضائع إلى المدائن، ويشترك العرب في ملاحظتها»<sup>(٤٨)</sup>، كما يذكر جواد علي أن «العرب والفرس تعايشوا في المنطقة؛ فالعرب وقرؤا القوة العاملة والمرافقة العسكرية، والفرس قدموا الإدارة والري»<sup>(٤٩)</sup>، إن هذا التبادل كان ضرورة اقتصادية فرضتها الجغرافيا، حيث لا يمكن للفرس الاستغناء عن العرب في الملاحة، ولا للعرب الاستغناء عن الأسواق الفارسية، وهذا التبادل جعل البصرة منطقة تعايش قسري، حيث يقابل كل

طرف الآخر بالحاجة والمصلحة رغم الصراع، فالتبادل الاقتصادي والاجتماعي كان أحد أشكال التعايش العملي، رغم استمرار التوترات السياسية.

**خامساً: جدلية الصراع والتعايش - التفسير التاريخي:** من خلال استعراض المواجهة والتحالف والتبادل، يظهر أن العلاقة بين العرب والفرس في البصرة كانت جدلية وليست خطية. فهي علاقة تتأرجح بين:

الصراع: الغارات والمواجهات العسكرية.

التعايش: التبادل التجاري والاجتماعي.

التحالف: التعاون العسكري المؤقت.

ويرى كريستنسن أن «العلاقة بين الفرس والعرب لم تكن تبعية محضة ولا استقلالاً مطلقاً، بل علاقة مركبة تقوم على الصراع والتعاون في آن واحد»<sup>(٥٠)</sup>، هذه الجدلية تكشف أن البصرة لم تكن أرضاً خاضعة بشكل مطلق، ولا حرة تماماً، بل مساحة تماس متحركة، وإن بعض المؤرخين يميلون لتصوير العرب كأتباع للفرس، بينما تُظهر الوقائع أنهم كانوا شركاء مضطرين، قادرين على إرباك السيطرة الإمبراطورية، فجدلية الصراع والتعايش كانت هي السمة الجوهرية التي ميزت البصرة في العهد الساساني، وأدت إلى جعلها بيئة مؤهلة للتحول السريع بعد الفتح.

**سادساً: أثر الجدلية على البنية اللاحقة:** لقد تركت جدلية الصراع والتعايش بين العرب والفرس أثراً عميقاً في البنية الاجتماعية والسياسية للبصرة، إذ لم تكن العلاقة المؤقتة بين المواجهة والتحالف مجرد أحداث عابرة، بل أسهمت في تشكيل ملامح المدينة وتهيئة بيئتها التاريخية لاستقبال التحولات اللاحقة، وفي مقدمتها الفتح الإسلامي، يقول ابن الأثير: «وكانت القبائل قد ألقت الصراع مع الفرس والموادعة لهم، فلما جاء الإسلام وجدت في ذلك مخرجاً إلى استقلال جامع بعد تفرق»<sup>(٥١)</sup>، ويوضح هذا النص أن خبرة العرب في التعايش مع الفرس ومواجهتهم كوّنت لديهم قدرة على التكيف السياسي والاجتماعي. فالنزاعات والغارات زادت من تماسكهم الداخلي، فيما التحالفات والتبادلات جعلتهم أكثر وعياً بأهمية العلاقات الخارجية وتنظيمها. وعندما دخل الإسلام إلى البصرة، كان المجتمع العربي قد مرّ بتجارب متراكمة مع الفرس مكنته من فهم قيمة الوحدة مقابل التبعية، وقيمة التحالف الديني مقابل التحالف المرطلي القائم على المصلحة.

كما يتضح أن الجدلية بين العرب والفرس لم تنته بزوال النفوذ الساساني، بل انعكست في البنية اللاحقة للبصرة، حيث:

١. عززت روح الاستقلالية لدى القبائل العربية، ومهدت لقبولهم الفتح الإسلامي باعتباره خلاصاً من التبعية.

٢. أكسبت المجتمع المحلي خبرة في إدارة التوازنات بين القوى الكبرى والقبائل.
  ٣. جعلت البصرة قاعدة مناسبة للانطلاق نحو دورها الأوسع في الدولة الإسلامية.
- الخلاصة: أن جدلية الاستقلالية والارتباط، والصراع والتعايش، لم تكن مجرد مظهر من مظاهر التاريخ السابق للبصرة، بل كانت عنصراً مؤسساً في هويتها. فهي التي صاغت معالم بنيتها الاجتماعية والسياسية، وفتحت أمامها الطريق لتتحول بعد الفتح الإسلامي إلى واحدة من أهم المراكز الحضارية والسياسية في العالم الإسلامي.
- لقد أسست هذه الجدلية لبنية مزدوجة:
١. وعي عربي بالاستقلالية نتيجة الصراع.
  ٢. اعتياد على التعددية والتفاعل نتيجة التعايش.
- يقول جواد علي: «لم يكن ولاء العرب للساسانيين دائماً، بل كانوا يدخلون في طاعتهم ثم ينقضونها، مما جعلهم في موقع قوة»<sup>(٥٢)</sup>، هذا الوضع جعل العرب في البصرة أكثر استعداداً لتقبل الإسلام كسلطة جديدة تمنحهم هوية جامعة، إذا كان الصراع قد أنهك الفرس، فإن التعايش قد مهد لتقارب اجتماعي وثقافي ساعد على الاستقرار لاحقاً، إن الجدلية بين الصراع والتعايش لم تكن عائقاً، بل كانت عاملاً تاريخياً بنّاءً في تمهيد الطريق للبصرة الإسلامية.
- ويظهر من هذا العرض أن البصرة في العهد الساساني كانت ساحة تفاعل معقد بين العرب والفرس، لم يخلُ من المواجهة العسكرية، ولم يخلُ أيضاً من التعاون الاقتصادي والاجتماعي. وهذه الجدلية - التي جمعت الصراع بالتعايش - صنعت هوية المنطقة، وجعلتها مؤهلة للتحول السريع إلى قاعدة إسلامية كبرى بعد الفتح.

#### المبحث الرابع: أثر جدلية الصراع والتعايش في تمهيد البصرة الإسلامية

إن دراسة التفاعل بين العرب والفرس في البصرة قبل الإسلام تكشف أن جدلية الصراع والتعايش لم تكن مجرد حالة عابرة، بل مثلت عملية تاريخية متراكمة مهدت لولادة البصرة الإسلامية. فقد أسهمت المواجهات والغارات في ترسيخ نزعة الاستقلالية لدى القبائل العربية، بينما أوجدت التحالفات والتبادلات أرضية لفهم أهمية التنظيم السياسي والعسكري. ومع دخول الإسلام، كانت البصرة قد أصبحت مهيأة للتحويل إلى قاعدة حضارية كبرى.

يقول البلاذري: «فلما قدم المسلمون البصرة وجدوا العرب بها قد ألقوا التمرد على الفرس تارةً، ومصالحتهم أخرى، فمالوا إلى الإسلام إذ جمع لهم ما تفرقوا فيه»<sup>(٥٣)</sup>.

ويظهر من هذا النص أن العرب في البصرة خبروا أسلوبين متناقضين في علاقتهم بالفرس: المواجهة حيناً والموادعة حيناً آخر، وقد أنتجت هذه الخبرة شعوراً متنامياً بضرورة وجود إطار جامع يتجاوز

الصراعات المرحلية. فجاء الإسلام ليقدم بديلاً تاريخياً وسياسياً أكثر ثباتاً، قائماً على العقيدة والولاء الجماعي، بدل الولاءات القبلية أو التبعية للساسانيين.

كما أن التبادل التجاري والثقافي مع الفرس أكسب العرب معرفة بالأنظمة الإدارية والعسكرية، وهو ما ساعدهم لاحقاً في بناء مدينة البصرة كحاضرة منظمة، تجمع بين الاستقرار العمراني والوظيفة العسكرية في الفتوحات، ويمكن القول إن جدلية الصراع والتعايش أسهمت في تمهيد البصرة الإسلامية من خلال:

١. تعزيز روح الاستقلالية لدى القبائل العربية في مواجهة النفوذ الأجنبي.

٢. تنمية الخبرة السياسية والعسكرية نتيجة التفاعل مع الفرس.

٣. تهيئة الأرضية لتقبل مشروع الإسلام باعتباره حلاً جامعاً للصراع والانقسام.

بذلك، لم يكن الفتح الإسلامي للبصرة حدثاً معزولاً، بل جاء تتويجاً لمسار تاريخي طويل من التجاذبات بين العرب والفرس، انتهى بتحول البصرة إلى منطلق رئيسٍ للدولة الإسلامية في المشرق. ومن أبرز مظاهر جدلية الصراع والتحالف ما يلي:

**أولاً: الإرهاق الساساني وضعف السيطرة:** لقد أدى الصراع المستمر مع القبائل العربية إلى إنهاك الحاميات الساسانية في الأبله وتراجع فعاليتها، يذكر العزاوي: «أجهدت الغارات العربية الفرس، فأخذوا يتهاونون في ردها، وأحياناً يدفعون الأموال اتقاءً لها»<sup>(٥٤)</sup>.

هذا الإرهاق كشف هشاشة النفوذ الساساني في المنطقة، كما أن ضعف القبضة الفارسية جعل المنطقة قابلة للانفلات من السيطرة بمجرد ظهور قوة جديدة أكثر قبولاً، والصراع المستمر أنهك الفرس ومهد لتراجعهم أمام الفتح الإسلامي.

**ثانياً: بروز الوعي العربي بالاستقلالية:** ساهمت الغارات والتحالفات المتقطعة في ترسيخ شعور عربي بالقدرة على المواجهة، فيقول جواد علي: «لم يكن العرب في جنوب العراق راضخين للساسانيين، بل كانوا يتمردون عليهم باستمرار، مما رسخ فيهم نزعة استقلالية»<sup>(٥٥)</sup>، هذه النزعة جعلت العرب أكثر تقبلاً لدعوة الإسلام بوصفها بديلاً عن التبعية للإمبراطورية، فالإسلام قدم للعرب مشروعاً يوحد قبائلهم بدلاً من أن تبقى متفرقة بين الولاءات المتقلبة، إن التمرد العربي على الفرس كان خلفية نفسية وسياسية لسرعة الاندماج في الدولة الإسلامية الناشئة.

**ثالثاً: التعايش الاجتماعي كبذرة للتعددية الإسلامية:** رغم الصراع، نشأت أشكال من التعايش بين العرب والفرس والمسيحيين النساطرة، فيذكر البيروني: «وكان للنساطرة كنائس في الأبله وما جاورها، يعيشون تحت حماية الفرس، ويخالطون العرب في المعاش»<sup>(٥٦)</sup>، إن التعددية الدينية والاجتماعية التي خبرتها البصرة جعلت مجتمعها أكثر مرونة في استقبال هوية جامعة جديدة، فإذا كان الصراع

غذّى وعي الاستقلال، فإن التعايش غدّى قابلية التعايش الديني والمذهبي في البصرة الإسلامية، وهذه الخلفية جعلت البصرة لاحقاً مركزاً للتنوع الفكري والمذهبي في الإسلام.

رابعاً: إعادة توظيف الإرث العسكري والاقتصادي: استفاد المسلمون بعد الفتح من الإرث الساساني في البصرة، فالقلاع والحاميات أعيد توظيفها كمراكز للجيش الإسلامي، كما أن الموانئ وقنوات الري استثمرت لدعم التجارة والزراعة، يقول الطبري: «لما نزل المسلمون الأبلّة وجدوا فيها دوراً ومرافق، فاتخذوها قاعدة لهم»<sup>(٥٧)</sup>، فلم يبدأ المسلمون من الصفر، بل أعادوا صياغة البنية القائمة ضمن مشروع جديد، وهكذا يوضح أن الصراع لم يُلغ التعايش، بل ترك إرثاً مادياً صالحاً للبناء عليه، وإن الإرث الساساني-العربي كان أساساً لقيام البصرة الإسلامية القوية.

خامساً: البصرة الإسلامية ثمرة الجدلية: من خلال الجمع بين الصراع (الذي أضعف الفرس) والتعايش (الذي مهد للتنوع)، ولدت البصرة الإسلامية بسرعة غير معهودة، يقول جواد علي: «لم ينشئ المسلمون البصرة من فراغ، بل ورثوا تفاعلاً عربياً-فارسيًا طويلاً جعل تأسيسها ممكناً»<sup>(٥٨)</sup>، فالبصرة الإسلامية كانت نتيجة مباشرة لجدلية الماضي، لا مجرد انقطاع عنه، فإذا كان الصراع وقرّ شروط الاستقلال، فإن التعايش وقرّ شروط التكامل، وكلاهما اجتمع في البصرة الإسلامية والتي لم تكن مجرد قاعدة عسكرية للفتح، بل نموذجاً حضارياً ورث الماضي وأعاد صياغته في إطار الإسلام. والخلاصة: يتبين أن جدلية الصراع والتعايش في البصرة الساسانية:

١. أنهكت السيطرة الساسانية.
  ٢. نمت وعياً عربياً بالاستقلال.
  ٣. غدّت قابلية للتعددية والتعايش.
  ٤. وقرت إرثاً عسكرياً واقتصادياً جاهزاً.
- وبذلك، كانت هذه الجدلية عاملاً تاريخياً حاسماً في تمهيد البصرة الإسلامية، التي تحولت سريعاً إلى قاعدة للفتوحات ومركز للتجارة والعلم.

## الخاتمة

لقد بيّن البحث أن البصرة في العهد الساساني لم تكن مجرد منطقة جغرافية على أطراف الدولة، بل مثلت ساحة تفاعل بين قوتين: النفوذ الإمبراطوري الساساني والتحركات العربية المحلية. هذا التفاعل لم يكن ذا طابع أحادي، بل اتسم بالجدلية؛ إذ امتزجت فيه صور الصراع العسكري المتكرر مع أشكال التعايش الاقتصادي والاجتماعي، وتتنوع أنماطه بين الغارات والتحالفات والتبادلات.

أظهر الفصل الأول أن الساسانيين اعتمدوا على الحاميات والمساح العسكرية كوسيلة لفرض هيمنتهم على الأبلّة وضياف شط العرب، غير أن فعاليتها كانت محدودة أمام تحركات القبائل العربية. وكشف الفصل الثاني عن الحضور العربي القوي في المنطقة، سواء عبر الاستيطان أو الغارات أو الولاءات المصلحية، مما جعل العرب طرفاً فاعلاً لا يمكن إغفاله. أما الفصل الثالث فقد أوضح أن العلاقة لم تقتصر على الصراع، بل تضمنت مظاهر من التعايش والتبادل الاقتصادي والاجتماعي، لتكون علاقة مركبة تقوم على المواجهة والتعاون معاً. وأخيراً، جاء الفصل الرابع ليؤكد أن هذه الجدلية –بكل مكوناتها– كانت تمهيداً مباشراً لقيام البصرة الإسلامية، حيث أسهمت في إنهاك النفوذ الساساني من جانب، وفي إعداد الأرضية الاجتماعية المتنوعة من جانب آخر.

والخلاصة: أن البصرة في العهد الساساني كانت ساحةً لجدلية الصراع والتعايش بين العرب والفرس. فقد كشف الصراع حدود السيطرة الإمبراطورية، بينما أظهر التعايش إمكانية التواصل والتبادل. ومن ثم، فإن البصرة الإسلامية لم تكن ولادة جديدة من العدم، بل كانت استمراراً وتحولاً نوعياً لإرث سابق أعيد تشكيله في إطار إسلامي. وهكذا تحولت البصرة من تخوم نزاع إلى حاضرة حضارية كبرى، شكّلت قاعدة للفتوحات ومركزاً للتجارة والعلم.

## النتائج

١. اتسم النفوذ الساساني في البصرة بالاعتماد على الحاميات والمسالح، لكنه ظل هشاً أمام الضغط العربي.
٢. مثل العرب قوة محلية فاعلة؛ إذ جمعوا بين المقاومة بالغارات والتعاون عبر الولاءات المصلحية.
٣. أدت طبيعة البنية القبلية العربية إلى نشوء علاقة متقلبة مع الفرس، لا هي تبعية كاملة ولا استقلالية مطلقة.
٤. شهدت المنطقة مظاهر من التعايش الاقتصادي والاجتماعي، لاسيما في الزراعة والملاحة والتجارة.
٥. كانت العلاقة بين العرب والفرس جدلية مركبة تتراوح بين الصراع والتعايش، وهو ما منح البصرة خصوصيتها.
٦. أفضت هذه الجدلية إلى إنهاك السيطرة الساسانية، وتعزيز الشعور العربي بالاستقلال، وتمهيد الأرضية لقبول الإسلام كقوة جامعة.
٧. استفاد المسلمون بعد الفتح من الإرث العسكري والاقتصادي الساساني، وأعادوا توظيفه في إطار حضاري جديد.

## التوصيات

١. إعادة قراءة تاريخ البصرة قبل الإسلام في ضوء جدلية الصراع والتعايش، لا باعتبارها مجرد أرض فارسية أو عربية، بل مجالاً للتفاعل المركب.
٢. ضرورة المقارنة بين المصادر العربية والسريانية والفارسية لتجاوز الصورة الأحادية التي تقدمها بعض النصوص.
٣. توسيع البحث في الدور العربي القبلي في جنوب العراق قبل الإسلام، لفهم كيفية تحوله إلى ركيزة للفتح.
٤. التركيز على دراسة البنية الاقتصادية للموانئ وقنوات الري في الأبله وما حولها، باعتبارها أساساً لاستمرار البصرة الإسلامية.
٥. الاستفادة من هذا النموذج في فهم التاريخ الحضاري للعراق والخليج بوصفه نتاجاً للتفاعل بين القوى الكبرى والشعوب المحلية.

## الهوامش

- (١) ينظر: المياح، المصادر الأثرية لدراسة تاريخ الدولة الساسانية، ص ٢-١٨.
- (٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٠؛ لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ص ٤٤.
- (٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩٢.
- (٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٠٦.
- (٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٧.
- (٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٣٢٩.
- (٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٤٣.
- (٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٨٩.
- (٩) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٥٤.
- (10) Chronicle of Seert, trans. A. Scher, Patrologia Orientalis, Paris, 1911, vol. 4, p. 245
- (١١) ينظر: المياح، الفكر العسكري الساساني، ص ٢٦١-٢٧٠.
- (١٢) العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ١، ص ٨٨.
- (١٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢١٥.
- (١٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢٢٠.
- (١٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١١٠.
- (١٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٣١.
- (١٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١١٠.
- (١٨) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٩٨.
- (١٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٣١.
- (٢٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٤٣.
- (٢١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢١٥.
- (٢٢) العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ١، ص ٨٨.
- (٢٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٣٦.
- (٢٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٧.
- (٢٥) الدوري، مقدمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٣٣.
- (٢٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩٢.
- (٢٧) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢١٧؛ سهيل زكار، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٤٥.
- (٢٨) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٣٢٩.
- (٢٩) مهران، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٠٥.
- (٣٠) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩٠.
- (٣١) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٤٨.

- (٣٢) عبد الجبار، العرب والفرس في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ١٠١.  
(٣٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٣٦.  
(٣٤) جواد علي، المفصل، ج ٤، ص ٢١٤؛ البستاني، العرب في العصر الجاهلي، ص ٢٣.  
(٣٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٩.  
(36) Christensen, L'Iran sous les Sassanides, E. J. Brill, Leiden, 1944, p. 145

- (٣٧) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٣٣١.  
(٣٨) العزوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ١، ص ٨٨.  
(٣٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٣٦.  
(٤٠) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ٢٢٠.  
(٤١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٨٩.  
(٤٢) مهران، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٠١.  
(٤٣) الدوري، مقدمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٣٣.  
(٤٤) عبد الجبار، العرب والفرس في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٩٥.  
(٤٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩٢.

- (46) Chronicle of Seert, trans. A. Scher, Patrologia Orientalis, Paris, 1911, vol. 4, p. 245

- (٤٧) لتفاصيل أكثر عن دور العرب في الجيش الساساني ينظر: المياح، الفكر العسكري الساساني، ص ١٧٤-١٨٧.  
(٤٨) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ٤٧.  
(٤٩) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢١٥.

- (50) Christensen, L'Iran sous les Sassanides, E. J. Brill, Leiden, 1944, p. 147.

- (٥١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٣٢.  
(٥٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢١٨.  
(٥٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٩.  
(٥٤) العزوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ١، ص ٨٨.  
(٥٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢١٥.  
(٥٦) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ١١٢.  
(٥٧) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٣٦.  
(٥٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢٢٠.

## قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، بلا تاريخ.
٢. البستاني، عبد الرحمن. العرب في العصر الجاهلي، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م.
٣. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. تحقيق: صلاح الدين المنجد. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م.
٤. البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد. الآثار الباقية عن القرون الخالية. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
٥. جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.
٦. ابن خردادبه، عبيد الله بن عبد الله. المسالك والممالك. بيروت: دار صادر، ١٨٨٩م.
٧. الدوري، عبد العزيز. مقدمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨م.
٨. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود. الأخبار الطوال. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م.
٩. زكار، سهيل. تاريخ العرب قبل الإسلام، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤م.
١٠. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. بيروت: دار التراث، ١٩٦٧م.
١١. عبد الجبار، صادق عبد الله. العرب والفرس في الجاهلية و صدر الإسلام، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٤م.
١٢. العزاوي، عباس. تاريخ العراق بين احتلالين. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٣٦م.
١٣. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة: دار المعارف، ٢١٩٦٩م.
١٤. لوريمر، جون غوردون. دليل الخليج، عمان، ووسط الجزيرة العربية، القسم التاريخي، ترجمة: مكتب الاستشارات والتوثيق والترجمة، الدوحة: وزارة الإعلام في دولة قطر، ١٩٦٧-١٩٧٠م.
١٥. المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر. بيروت: دار الأندلس، ١٩٦٥م.
١٦. مهران، محمد بيومي. تاريخ العرب قبل الإسلام، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩٣م.
١٧. المياح، أنور عبد علي حميد. الفكر العسكري الساساني (٢٢٦-٦٥١م): دراسة تاريخية. بيروت: دار الرافدين، ط ١، ٢٠١٦م.
١٨. المياح، أنور عبد علي حميد. المصادر الأثرية لدراسة تاريخ الدولة الساسانية (٢٢٦-٦٥١م): دراسة تاريخية، مجلة أروك للعلوم الإنسانية، المجلد ١٤، العدد ٤، ٢٠٢١م. جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية.
١٩. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق. تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار صادر، ١٩٦٠م.

## المراجع الأجنبية

20. Christensen, Arthur. L'Iran sous les Sassanides. Leiden: E. J. Brill, 1944.
21. Chronicle of Seert. Translated by A. Scher. Patrologia Orientalis. Paris: Firmin-Didot, vol. 4, 1911.

## References

1. Ibn al-Athir, Ali ibn Muhammad. *Al-Kamil fi al-Tarikh* (The Complete History). Beirut: Dar Sadir, n.d.
2. Al-Bustani, Abd al-Rahman. *The Arabs in the Pre-Islamic Era*. Beirut: Dar al-Kitab al-Lubnani, 1980.
3. Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya. *Futuh al-Buldan* (The Conquests of Lands). Edited by Salah al-Din al-Munajjid. Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal, 1987.
4. Al-Biruni, Abu Rayhan Muhammad ibn Ahmad. *Al-Athar al-Baqiyah ‘an al-Qurun al-Khaliyah* (The Remaining Vestiges of Past Centuries). Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2000.
5. Ali, Jawad. *Al-Mufassal fi Tarikh al-‘Arab Qabl al-Islam* (Detailed History of the Arabs before Islam). Beirut: Dar al-‘Ilm lil-Malayin, 1993.
6. Ibn Khurdadhbih, Ubayd Allah ibn Abd Allah. *Al-Masalik wa al-Mamalik* (Routes and Kingdoms). Beirut: Dar Sadir, 1889.
7. Al-Duri, Abd al-Aziz. *Introduction to the History of the Arabs before Islam*. Beirut: Centre for Arab Unity Studies, 1988.
8. Al-Dinawari, Abu Hanifah Ahmad ibn Dawud. *Al-Akhbar al-Tiwal* (The Long Narratives). Cairo: Dar Ihya’ al-Kutub al-‘Arabiyyah, 1960.
9. Zakkar, Suhayl. *History of the Arabs before Islam*. Damascus: Dar al-Fikr, 1984.
10. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. *Tarikh al-Rusul wa al-Muluk* (History of Prophets and Kings). Beirut: Dar al-Turath, 1967.
11. Abd al-Jabbar, Sadiq Abd Allah. *The Arabs and the Persians in the Pre-Islamic Era and Early Islam*. Beirut: Dar al-Tali‘ah for Printing and Publishing, 1974.
12. Al-Azzawi, Abbas. *History of Iraq between Two Occupations*. Baghdad: Matba‘at al-Ma‘arif, 1936.

13. Ibn Qutaybah al-Dinawari, Abd Allah ibn Muslim. *Al-Ma'arif (The Book of Knowledge)*. Edited by Tharwat Okasha. 2nd ed. Cairo: Dar al-Ma'arif, 1969.
14. Lorimer, John Gordon. *Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia: Historical Section*. Translated by the Office of Consultation, Documentation and Translation. Doha: Ministry of Information, State of Qatar, 1967–1970.
15. Al-Mas'udi, Ali ibn al-Husayn. *Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar (The Meadows of Gold and Mines of Gems)*. Beirut: Dar al-Andalus, 1965.
16. Mihran, Muhammad Bayoumi. *History of the Arabs before Islam*. Cairo: Dar al-Nahdah al-'Arabiyyah, 1993.
17. Al-Miyah, Anwar Abd Ali Hamid. *Sasanian Military Thought (226–651 CE): A Historical Study*. Beirut: Dar al-Rafidain, 1st ed., 2016.
18. Al-Miyah, Anwar Abd Ali Hamid. "Archaeological Sources for the Study of the Sasanian State (226–651 CE): A Historical Study." *Uruk Journal for Human Sciences*, Vol. 14, No. 4 (2021). Al-Muthanna University, College of Education for Human Sciences.
19. Al-Ya'qubi, Ahmad ibn Ishaq. *Tarikh al-Ya'qubi (History of al-Ya'qubi)*. Beirut: Dar Sadir, 1960.

#### Foreign References

20. Christensen, Arthur. *L'Iran sous les Sassanides*. Leiden: E. J. Brill, 1944.
21. *Chronicle of Seert*. Translated by A. Scher. *Patrologia Orientalis*. Paris: Firmin-Didot, Vol. 4, 1911.